



قبائل صنهاجية

إلياس أعراب

فاعل جمعي



آيت احمد:

جوهرة قبائل صنهاجة اسراير

آيت احمد واحدة من قبائل صنهاجة اسراير بجبال الريف ، كانت تعرف في السابق بآيت احمد ن آيت بوشيت حتى يتم تمييزها عن بني احمد السراق المتواجدة بمنطقة جبالة (1) و عن مدشر آيت احمد المتواجد بكتامة. يبعد مركز قبيلة آيت احمد (إمكزن) عن مدينة تاركنست بحوالي 40 كلم و تحدها أربع قبائل صنهاجية أخرى هي: آيت بونصار، تاغزوت، آيت بشير و آيت بوشيت. تتحدث أغلبية سكان القبيلة بأمازيغية صنهاجة اسراير التي يسمونها "الشلحة" مع وجود نسبة قليلة تتحدث الدارجة يسمون أنفسهم بالشرفاء ينتمون للزاوية الخمليشية التي تنتشر في عموم تراب كنفدرالية قبائل صنهاجة اسراير.

1. أصول قبيلة آيت احمد

تنقسم قبيلة احمد احمد إلى ثلاث فرق رئيسية هي: آيت علاهم، أو طيل و لحلاف.

و ترمز أسماؤها إلى الأجداد و هي : أولاد أعراب، أولاد بوشنة و أولاد علي بن دحمان، و يفيد بعض الأشخاص من القبيلة أن أجدادهم كانوا من أتباع الشيخ أبو الحسن اليوسي الذي يوجد ضريحه بمنطقة "أهرمومو" بنواحي مدينة صفرو.

تعتبر فرقة آيت اعلاهم (أو آيت عياهم بأمازيغية صنهاجة اسراير) أول فرقة استقرت بالمنطقة قادمة إليها من ناحية "صفرو" وهم امازيغ صنهاجيون أصلهم من جنوب المغرب، و تمتد هذه الفرقة من دوار "مازوز" لدوار "إمكزن" حيث استقر الأجداد في دوار "إمكزن" الذي كان في الماضي يسمى ب "دار المخزن" حيث أقام به الادارسة ثكنة لجمع الضرائب . تنقسم هذه الفرقة بدورها إلى ثلاث أسر هي من حطت الرحال بالمنطقة بادئ الأمر

أما فرقة أو طيل (أو أوطي بأمازيغية صنهاجة اسراير) فقد حلت بالمنطقة قادمة إليها من نواحي مدينة "تاوانات" و بالضبط من منطقة "أسكار"، كما أن هذا الاسم لا زال حاضرا بهذه الفرقة و يستعمله السكان كلقب شخصي ، فيما كانت فرقة لحلاف آخر من استوطن المنطقة قادمة إليها من قبيلة آيت عمارت الريفية التي توجد على الحدود مع قبيلة "صنهاجة اسراير".



ضريح الجد الحاح عمر بدوار إمكزن

لكن ما يثير الانتباه هو أن هذه المجموعات التي تسكن في مداشر منعزلة عن الأمازيغ الصنهاجيين و التي تتخذ من أجود الأراضي في منطقة صنهاجة اسراير مكانا لها و لزواياها تتحدث الداريجة العربية (لم يتمزغوا رغم كونهم أقلية، أو لم ينصهروا ثقافيا و لغويا في المجتمع الصنهاجي كما فعلت العائلات "الشريفة" بقبيلة بني ورياغل حيث تمزغوا كلهم) و فرضتها أي الداريجة العربية بطريقة أو أخرى على الأمازيغ الصنهاجيين الذين تعرب بعضهم، كما أنهم يتميزون بتعاملهم الطبقي مع الصنهاجيين حيث يعتبرونهم جهلاء و يطلقون عليهم مصطلح "لقباين" أو بأمازيغية صنهاجة اسراير "إقوبانيين"، كما أنهم لا يزوجون بناتهم للأمازيغ الصنهاجيين في حين يمكن لهم الزواج من أمازيغية صنهاجية.

و تقول الروايات التي يتداولها السكان أنه كان هناك سكان آخرون عاشوا بهذه المنطقة قبلهم وقد هجروها نتيجة ضباب كثيف (نفس الرواية تردد في جميع أنحاء الريف الأوسط و قد أشار إليها بول باسكون في بحثه عن قبيلة آيت بوفراح (2) و الدليل على تواجدهم حسب السكان كان بمنطقة تسمى ب "تيمزكيدا ن بكري" (مسجد الماضي).

2. الوضعية السوسيو لسانية لقبيلة آيت احمد (3)

تنقسم قبيلة آيت احمد إلى ثلاث فرق كلها أمازيغية ذات أصول صنهاجية مع وجود مداشر تسكنها مجموعات منتشرة في ربوع قبائل صنهاجة اسراير تسمى نفسها "الشرفاء"، تنتمي للزاوية الخمليشية التي لعبت دورا مهما في المنطقة عبر التاريخ تجلى في كونها الممثل المحلي للمخزن في صنهاجة اسراير و مؤطريهم الديني.



هذا الجدول يوضح الوضعية السوسولوجية بقبيلة آيت احمد :

الفرقة	دشر (المدشر)	اللغة المستعملة	التقسيم الإداري
آيت علاهم	إمكزن	الشلحة	جماعة بني احمد إمكزن
	أذمام	الشلحة	
	بويندوز	الشلحة	
	تيفزيوين	الشلحة	
	تيزيرت	الشلحة	
	تافسوت	الشلحة	
	مازوز	الشلحة	
	إمعشرون	الشلحة	
	تايات	الشلحة	
	الرمان	الشلحة	
	تيزرا انشق منه مدشرين هما: أسمار + أدار	الشلحة	
	أفكاي	- فريق يتحدث الشلحة - فريق الشرفاء يتحدثون الدارجة	
أوطيل	أوطيل	الشلحة	جماعة بني احمد إمكزن
	نالولين	الشلحة	
	لبشيريين	الشلحة و الدارجة الشباب و الصغار يتكلمون الدارجة فقط لأن المدشر تعرب. يحكى أن الجد الأول للبشيريين أصله من مدشر إمكزن طرد منه لأنه كان يرعى اغنامه في أراضي الغير. تزوج من امرأة من آيت بوشيب (قبيلة صنهاجية تتحدث الدارجة) ، كما أن مدشر لبشيريين جاء محاذيا لآيت بوشيب. لهذا السبب يتعرب المدشر تدريجيا.	
	إقرارن	الدارجة (تعربوا)	
	أمازر تفرع منه مدشر آخر هو: دراورين	الدارجة (تعربوا)	
لحلاف	بومساهر	الشلحة	جماعة بني احمد إمكزن
	تافزا	الشلحة	
	إرجي تفرع منه مدشر: لعزيب قدور	الشلحة	
	تاميانصت	الشلحة	
	أسنسو تفرع منه مدشر: إيران سنان	الشلحة	
	تافورنوت	الشلحة	
	لبضمة تفرع منه مدشر: أون ييري	- فرقة تتحدث الشلحة - فرقة تتحدث بالدارجة	
جماعة بني بونصار	أزرو إزوكاغن	الشلحة	جماعة بني بونصار
	أوني	الشلحة	
	إزورداز	الدارجة (الشرفاء)	
	ألمو	الدارجة (الشرفاء)	
	حيون	الدارجة (الشرفاء)	

3. الحياة السوسيو- اقتصادية لقبيلة آيت

احمد

تقول روايات السكان انه عندما قدم الاجداد للمنطقة وجدوا غابات غنية بأشجارها المتنوعة، فقاموا في أول الامر بحرق بعض الغابات وزرعوا مكانها الحنطة (أشتي بتصنهاجيت) كما اعتمدوا على البلوط المتواجد بكثرة في الغابات وكذا "أزباغ" وهو ثمرة لشجرة تسمى "أساسنو"، كما كانوا يحضرون نوعا من "الزميتا" خاصة بهم من حبات شجرة "إرگل" (أو إركي بالأمازيغية المحلية) ودقيق القمح وتسمى بأمازيغية صنهاجة اسراير "زمو". كما قاموا بغرس اشجار التين والعنب و الجوز (تاغاييت) و اللوز وأصبحوا مشهورين بإنتاج الزبيب و شراب الصامط (أو الصامط بتصنهاجيت) الذي كان يحضر من العنب. و كانوا يجمعون التين ويجففونه في مكان يسمى "النشير" حيث يوضع في الأول نبات "تايكوث" ليحمي حبات التين قبل وضعها لتجف، كما أن السكان ابدعوا في طريقة تجفيفهم للتين فبدؤوا يحضرون التين بنكهة "الزعر" (أو زوي بتصنهاجيت) و بدل وضعه فوق "تايكوث" مباشرة كانوا يضيفون طبقة من الزعر. إلى جانب الفلاحة امتهن السكان أيضا الصيد فكانوا يصطادون في الجبال وينصبون الفخاخ وكذلك يصطادون الأسماك في واد الكرار.

كما اشتهر سكان آيت احمد بصناعة المنتجات الجلدية وخصوصا الاحزمة والحقائب ولا زال ابناء المنطقة يزاولون المهنة في مدن الدار البيضاء و فاس الى جانب سكان قبيلة تاغزوت، حيث يكاد يكون كل الصانع التقليديون من هاتين القبيلتين. وحين سألنا عن الصناعات الجلدية كان اغلب الاشخاص الكبار في السن يجيبوننا بمثل يتداولونه بينهم وهو: "الريحية ن وحمد إد الصمطة ن وغزوث".

إلى جانب صناعة الجلد كان الانسان الحمدي يصنع ما يسمى ب "تازدوژت" من خشب الجوز وتستعمل في وقت الدرس حيث يتم بواسطتها الفصل بين حبات القمح والأغصان كما تستعمل ايضا في غسل الملابس . كما عرفت النساء بصناعات العقيق فكانوا يصنعون ما يسمى ب "تاشهرورث" وهي تحفة فنية تميز لباس العروسة وكذلك يصنعون "ازرغموي" و هو عبارة عن سلسلة من العقيق توضع في العنق وتحمل شكل رأس السحلية (تازرمومويت) ، إضافة ل "عويشة " و "أبهلول" و "الحمالة" وغيرها من ادوات الزينة التي تستعملها النساء.



تاشهرورث (توضع فوق رأس النساء)

4. معركة واد الكرار: رمز المقاومة بقبيلة

آيت احمد

تشكل معركة واد الكرار مفخرة لأبناء قبيلة آيت احمد الذين يستحضرون من خلالها شجاعة وبطولة أجدادهم الذين وقفوا سدا منيعا في وجه المستعمر. هذه المعركة التي دارت رحاها وسط جبال و وديان المنطقة مباشرة بعد استسلام الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي والتي خرج منها المقاومون الصنهاجيون مرفوعي الرأس نتيجة تخطيطهم الجيد واستغلالهم لطبيعة المنطقة التي يعرفونها جيدا. وترجع هذه التسمية إلى المجزرة التي ألحقها

حيث سيحاصرون من كل الجوانب بعد قدوم فريق آخر من المجاهدين من منطقة "إيماضين" المرتفعة . في هذا الوادي سيسقط الجيش الاسباني برمته أما قائد السرية فقد لاذ بالفرار، أما محمد بن لحسن الرغيوي فيقول بأن بعض المجاهدين تمكنوا من اللحاق به بمنطقة "بويندوز" وإسقاطه هناك ، هذا المكان الذي لم ينساه الأسبان حيث عادوا إليه بعد الاستقلال و بنوا به تذكارا لقائدهم والذي تحول فيما بعد لعين للمياه لازالت تحمل اسم القائد حيث تسمى "تاهايان الموسطاريس" ، و تاهايا (أو تاهالا) تعني بأمازيغية صنهاجة اسراير "عين الماء" فيما المستطريس **Almostaris** فهو الاسم الذي عرف به قائد الجيش الاسباني في المنطقة. بعد انتهاء المعركة أصبح الوادي مليئا بالجثث وصارت الأسماك تتغذي عليها و تغير لون المياه فيه مما حذا بالسكان للكف عن اصطياد الأسماك به لمدة طويلة.



تاهايان الموسطاريس (عين الموسطاريس)

على ضفاف هذا الوادي وبالأخص في الجبال التي تطل عليه مثل جبل "أزغار" تظهر بعض الكهوف المشيرة للانتباه ويؤكد السكان أن الأجداد قد لجؤوا لحفرها ليتمكنوا من الاحتماء بها من الاسبان ومراقبة الأوضاع من بعيد، خاصة وأنه يصعب الوصول إليها ويسهل القنص منها لأن مواقعها اختيرت بعناية.

المجاهدون بجيش المستعمر والمغاربة الذين جندهم لمحاربة إخوانهم الصنهاجيين.

هذا الوادي الذي ينطلق صيبه من جبل "مازوز" مرورا بعدة مداشر ليصب في النهاية بواد "ورغة" كان مقبرة للجنود الأسبان، ومن خلال بحثنا عن تفاصيل هذه المعركة استطعنا الحصول على حكايات متشابهة من أبناء المجاهدين الذين حضروا المعركة رغم أن هذه الحكايات تختلف تفاصيلها الدقيقة من شخص لآخر لأن كل واحد سمع الرواية من والده المقاوم و الذي حكى له عن مكان تواجده إبان المعركة.



واد الكزار بقبيلة آيت احمد

في هذا الصدد يقول احمد بن محمد عبد الرحمان (ابن احد المقاومين في المنطقة) أن المعركة بدأت في منطقة "بورزيف" بقبيلة آيت بوشيت عندما كان الجيش الاسباني قادما نحو آيت احمد من "تابرانت"، حيث تربص به المقاومون بمنطقة "ثيوكت ن ربي" اي قنطرة الله (تسمى هكذا لأنها قنطرة طبيعية لم يتدخل في صنعها الإنسان)، في هذا المكان كان الأجداد يختبؤون خلف الأشجار و بمجرد ما صار جيش العدو في مكان منخفض بدأ إطلاق النار ليسقط عدد مهم من الغزاة ويلوذ الآخرون بالفرار، وعند وصولهم لدوار "إمكرن" كان هناك فريق آخر من المجاهدين ينتظرهم بـ "ثيمزكيدان لاربع" (مسجد الأربعاء) وهي المكان الذي بنيت فيه مدرسة "إمكرن" حاليا ؛ هنا سيتمكن المجاهدون من إرغام عدوهم على الاتجاه نحو الوادي



إذن فوادي الكُزار يعتبر رمزا من رموز المقاومة بمنطقة صنهاجة اسراير يفتخر به أبناء قبيلة آيت احمد ويذكرهم بتاريخ أجدادهم وملحمتهم الخالدة بالمنطقة، لكنها بقيت منسية في التاريخ المغربي الذي لم يذكر هذه المعركة أو أبطالها المقاومين رغم أنهم كانوا من أبطال حرب الريف وشاركوا أيضا في معركة "أنوال" الخالدة في الصفوف الأمامية مع إخوانهم الريفيين و تحت قيادة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي.

وبخصوص المغاربة المجندين بالجيش الاسباني لمحاربة إخوانهم، يقول الرواة أنهم ينتمون لبعض القبائل الريفية وأن الأسباب أتى بهم بالقوة من سوق أسبوعي وأمدتهم بالسلاح وجعلهم في الواجهة الأمامية والأغلبية لا تعرف حتى استعمال البنادق، فيما يذهب آخرون إلى اعتبارهم خونة قدموا يد المساعدة للعدو وحملوا السلاح في وجه إخوانهم الصنهاجيين الذين شاركوهم بالأمس الجهاد في صفوف الجيش الريفي.

خاتمة:

رغم تاريخ قبيلة آيت احمد المشرف وأصالتها وعراقتها إلا أنها تظل مهمشة ومنسية في أعالي جبال صنهاجة اسراير بالريف، و أصبح تاريخها وتقاليدها وأمازيغيتها معرضة للانقراض. فبالنسبة للتاريخ إذا لم يتم تجميعه وتدوينه فسيموت مع موت الرجال الكبار في السن، أما بالنسبة للعادات والتقاليد فهي في طور الانقراض حيث دخلت عادات غريبة وتغيرت العديد من الأمور كلباس العروس الصنهاجي الذي أصبح قليل الاستعمال وعادات العرس التي شابتها العديد من النواقص، أما الأمازيغية (الشلحة) فقد تعرضت لغزو خطير حيث انقرضت العديد من المصطلحات وعوضتها كلمات عربية دخيلة. وترجع أسباب هذا المشكل إلى هجرة العديد من أبناء المنطقة و موت حاملي الحكايات والمقاومين، وإلى عدم اهتمام الشباب بتاريخهم و موروثهم نتيجة التهميش والمعاملة التي يتلقونها من الآخرين وغزو زراعة الكيف وسيطرتها على العقول.

نتمنى من الجهات المسؤولة أن تلنفت لهذه المناطق وتحافظ على الثروة التاريخية و الثقافية التي تتميز بها لأنها ليست ملكا للصنهاجيين فقط، بل هي جزء مهم من تاريخ الريف و المغرب.

المراجع:

(1): A. Mouliéras, Le Maroc Inconnu : deuxième partie (exploration de djebala), Augustin chammel 1899, P : 376.

(2): P. Pascon, Les Beni Bou Frah: essai d'écologie social d'une vallée rifaine.

(3): شريف أدرادك، الوضعية السوسيولسانية لقبائل صنهاجة اسراير (مقال تحت الطبع)